

المرأة السعودية الشاعرة ودورها في النهضة الأدبية

¹ZAMRI ARIFFIN & MARIAM MAT DAUD

ABSTRACT

The Female Saudi Poets and Their Role in the Literary Renewal

Women have become one of the fundamental pillars of the construction and progress of society and civilization where they are able to participate in the public opinion in respect to communal issues. Their personality transcends the history, the more they are given attention and care in the community, the more they become innovative and show their effective role in the construction of human civilization, as well as showing their contributions in cultural and literary movement, resulted from their significant role in drawing the life of community and prosperity of civilization. Here the Saudi women poets embodied with talents and creativity leave a clear mark on the literary scene, their self-expression, their community and humanitarian crisis. This article contains some features of literary creativity of the Saudi women poets, and the extent of their impact on the literary scene. This study is made possible through reading and examining the most important works known as "the feminist poem" produced by educated women. The article discusses the poetry of some contemporary women and the environment that make them distinctive social class that influences the course of life.

Keywords: female Saudi poets, feminist literary, literary renewal

لقد أصبحت المرأة دعامة أساسية من دعامات البناء والتقدم الاجتماعي والحضاري، وأصبحت مشاركة للرأي العام في قضايا المجتمع، لها ذاتيتها ووجودها عبر صفحات التاريخ، وكلما أولوها بالاهتمام والعناية كلما بادرت هي بالعطاء والإبداع وأظهرت لنا دورها الفعال في بناء النهضة الحضارية للمجتمع الانساني، وإسهاماتها كذلك في الحركة الثقافية والأدبية وذلك لما للمرأة من دور جوهري في رسم حياة المجتمعات وازدهارها الحضاري. وهامي المرأة السعودية الشاعرة تفضي بما لديها من مواهب وابداعات تركت لها بصماتها الواضحة على الساحة الأدبية، فعبرت عن ذاتها ومجتمعها وأزمتها الانسانية، وهذه المقالة تحتوي على بعض معالم الإبداع الأدبي لدى المرأة السعودية الشاعرة، ومدى تأثيرها الفعال إذا ما طرحت على الساحة الأدبية، وذلك من خلال تتبع واستقراء أهم الانتاجات التي وردت بما يسمونه بالقصيدة النسائية النابعة من المرأة المثقفة الواعية المتفتحة ثقافيا، إلى جانب

¹ Zamri Ariffin, Ph.D., Assoc. Professor at the Department of Arabic Studies and Islamic Civilization, Faculty of Islamic Studies, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43000 BANGI, Selangor, Malaysia; **Mariam Mat Daud**, M.A., Lecturer at Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor (KUIS), Bandar Seri Putera, 43000 BANGI, Selangor, Malaysia. Email: mariam.mdaud@kuis.edu.my.

تلمس شعر بعض الشخصيات النسائية المعاصرة والبيئة التي جعلت منها طبقة لها فاعليتها ولها تأثيرها في مجرى الحياة.

المرأة الشاعرة وتواجدها على الساحة الأدبية

إن الأدب عبارة عن نتاج إنساني عام سواء كتبه رجل أو امرأة طالما يملك المقومات الفنية والأدوات المعبرة، فالمبدعون رجالا ونساء يتفوقون غالبا في النشئة والبيئة، والمعطيات الثقافية والموروث والدراسة، ولكن القيم والمضامين قد تبدو بينهما مختلفة إذ نجد أن النساء المبدعات يحرصن على التعبير عن قضاياهن، بصورة لا يجيد التعبير عنها غالبا سوى المرأة (Hassan 2001: 5).

ولما كانت التقاليد الأدبية مدينة دون شك لسلطة المبدع الرجل عبر العصور، وفي معظم الأشكال الإبداعية، فإن الإبداع النسائي على خصوصيته لن يكون سوى كائن مغاير ناتج عن ضلع آدم، أو خارج من معطف الرجل، ولا يضير ذلك الأدب النسائي في شيء، فمن المؤكد أن رجالا كثيرين يرون أنفسهم في الإبداع النسائي، ولا نبالغ حين نقول في شخصيات نسائية قدمها هذا الإبداع، لأن الإنسان يتجاوز مقولة المذكر والمؤنث على الرغم من ضرورة المرور بها.

وكتابات المرأة أو لغة الأدب والشعر من كتابات المرأة إن صح التعبير، تختلف في بعض المواقف عن كتابات الرجل، أو يمكن القول بأنها أصدق تعبيرا عن مشاعرها الأنتوية منها للرجل. وقد استطاعت المرأة الكاتبة المعاصرة أن تغير دورها القديم لتبحث عن ذات جديدة فقد تعايشت مع تطورات المجتمع المعاصر، وعبرت الأحداث التاريخية والاجتماعية والانسانية وتمكنت من التغلغل إلى موطن الداء.

وقد تطورت المرأة تطورا ملموسا في كتاباتها الموضوعية، فلم تعد تلك الرومانسية الحاملة التي تسيطر على أحاسيسها وحكمها، بل مارست في كتاباتها حياة المجتمع ككل بأحداثه وخصوماته ومشاكله الاجتماعية والأسرية والسياسية، وكانت في لغتها معبرة عن كل التعبير عن ذاتها وعن مجتمعا (Zeidan 1995: 1).

إن المرأة في الحياة والأدب ليست إضافة تكميلية للتاريخ بل هي عامل أساسي لنهضة الفكر والابداع ومسيرة حقيقية للتاريخ. ففي الأدب العربي نجد الخنساء أميرة شواعر العربية، أديبة الأدبيات وشاعرة الشعارات، ولم يكن أدبها ولا شعرها بأدب نسائي أو شعر نسائي، ولعل سر قوتها الأدبية وتأثيرها يرجع إلى أنها مرت بتجارب وأحداث كثيرة انعكس أثرها على نفسها، فصقل أسلوبها وأضاف إليه الحنكة والتجربة والصلابة (Lusi 2001: 4).

إن اختلاف أدب المرأة عن أدب الرجل يبرر وجود الأدب النسوي، ونلاحظ أن أدب المرأة يكاد يخلو من الشعارات البراقة والايديولوجيات المجردة ويلتصق بحرارة التجربة المعيشة والحياة الحارية (Buthaynah 1999: 8). وإبداع المرأة العربية هو جزء من إبداع العربي في جملة قد يتخاصم مع بعض الأجزاء

الأخرى، لكنه لا يجيا إلا في حضوره المتشابه والمختلف في إطار فكرة التعدد التي أصبحت سمة من سمات عالمنا المعاصر (Muhammad et.al 2000:22).

ونجد في التراث العربي آراء باهرة في مجال الإبداع النسائي من حيث الأداء البلاغي، والأحكام النقدية، والاتجاه الأدبي، وأثر الصوت النسائي في تشكيل النص القريب من روح الحياة الواقعية، وإدراك العين النسائية لدقائق اللغة التصويرية، وللبعد الحضاري في ربط الجنس الأدبي وسماته الأسلوبية والموضوعية بالرؤية الحضارية الكلية للجماعة، كما نلمس كيف أثرت المرأة في تصنيف المبدع العربي الواعي بأنها تملك القيم الانسانية السلوكية والجمالية.

والمرأة السعودية الشاعرة تعدّ نموذجاً متميزاً للإبداع النسائي، فقد استطاعت أن تتعايش مع تطورات المجتمع المعاصر، وتعبر عن الأحداث التاريخية والاجتماعية والانسانية، فالحكومة السعودية قد أولتها من العناية والدعم الكافي ما يجعلها مشاركة في التنمية شريطة أن تؤخذ عقيدة المجتمع وثقافته وخصوصيته في عين الاعتبار، فالمرأة السعودية المسلمة المتمسكة بالقيم والمبادئ الإسلامية، والمحافظة على دينها تدرك تماماً بأهمية فهم الدين فهما صحيحا، وتستوعب عقيدتها وبالتالي فهي شديدة الحرص على مبادئها وقيمها وعقيدتها، وهذا ما تلتزم به المرأة السعودية في كتاباتها الشعرية التي إن دل على شيء فإنما تدل على المرأة السعودية الواعية التي تمتلك من الأفق الواسع والفهم الصائب والبصيرة الثاقبة ما يجعلها تتحمل المسؤولية، وتشارك في صناعة التقدم والنهوض الثقافي والمعرفي لمجتمعها وأمتها وحضارتها.

العوامل المؤثرة في شاعرية المرأة السعودية

السعودية تعد من أهم الدول التي برزت فيها النساء الأدبيات، والدكتورة فاتنة شاكر إحدى الأدبيات السعوديات التي توازر المرأة السعودية وتعبر في كتاباتها عن فخرها بمنجزاتها، وكتبت في مقالة بعنوان "لا تخافوا على نساءنا" قائلة: إنني أشعر بفخر غير قليل بالمرأة السعودية، إنني أتوقع منها الكثير تجاه نفسها وتجاه مجتمعها، لأنه قد ضاع علينا -النساء- وعلى مجتمعنا الكثير ونحن نزرع تحت وطأة الجهل بحقوقنا وامكاناتنا الفكرية والنفسية. وبالرغم من إحساسي بأنه مازال أمام المرأة السعودية شوط كبير لاعتلاء قمة الجدية والاحساس بالمسؤولية الوطنية، سواء كان ذلك في دورها داخل نطاق أسرتها أو خارجه في نطاق مجتمعها الكبير، إلا أنني أشعر بالاعتزاز لما استطاعت أن تحققه، آخذة في الاعتبار حدود الامكانات المادية والمعنوية المتاحة لها (Fatimah 1981:99).

إن المرأة السعودية تتوق اليوم بصدق إلى الإحساس بكيانها إسلاميا، ليس فقط من الناحية النظرية، وإنما عملا وواقعا، فإن امكاناتها الفكرية والعلمية تضج فيها رغبة في العطاء والمشاركة في إطار إسلامي سليم، يقوم على النظرة السليمة المتكاملة التي تتعامل معها كإنسان له مثل ما عليه. وفي جيل الخمسينات برزت أدبيات كثيرات منهن من قالت الشعر فأجادت، ومن القصة والمقال، ولكنه من الصعب، بل ويكاد يكون من المستحيل

الحصول على ترجمة وافية دقيقة لإحداهن (Al-Sasi 1986: 275). إن تقاليد المجتمع وعاداته من المحاور المهمة في التكوين الثقافي، والمجتمع السعودي مجتمع محافظ يتعامل مع مكتسباته المتوارثة بعناية وإجلال، ويقيم لها وزنا في مناحي الحياة المختلفة.

إن المرأة الشاعرة أو المثقفة بطبيعتها الأنثوية تتوق إلى التغيير، وتتحفز للمواجهة وتبحث عن الحضور، كما أنها في الوقت نفسه تسعى إلى التأثير فيمن حولها والاسهام في حل مشاكلهم (Husain 1989: 23). ومن أوائلهن الشاعرة الأستاذة ثريا قابل، التي تولت من عام 1985م رئاسة تحرير مجلة نسائية عربية تصدر في باريس بفرنسا هي مجلة "زينة". وتسهم ثريا قابل في إحياء الأمسيات الشعرية مع غيرها مثل الشاعرة سلطانة السديري، وتقوم "الجمعيات الخيرية النسائية" مقام النوادي الأدبية في احتواء النشاط الأدبي النسائي ونشر الوعي الفني بين سيدات المجتمع وفتياته.

وقد أصدرت الشاعرة ثريا قابل ديوان شعر عنوانه "الأوزان الباكية" وقد جعلت من قضايا الوطن العربي الكبير وتحريره متنفسا للتعبير عن أفكارها، وحينما سمعت باحتمال إصابة المجاهدة جميلة بوحيرد بالعمى كتبت تقول (Al-Sasi 1986: 349):

ألا إن عميت وغاض الضياء
أنارت بلادي شموع البهاء
وعود لأرضي.. لنفسي عزاء
وعز لقومي.. لعيني رضاء
ألا إن عميت وشح الرجاء
بضوء عيوني فان السناء
نسيم بلادي نقي الصفاء
حياة لخلدي.. لقهر الفناء

ومن شاعرات جيل الخمسين الشاعرة رقية ناظر التي تكتب الشعر المعبر عن واقع الحياة، كما تنشر مقالات في الصحف ومن شعرها قصيدة كتبها بعنوان "سدت السبل" قالت فيها (Awwad 1985: 16) :

بدت أسبأها تجلو	جفاها الزوج والأهل
فصاحت بعدما ندمت	لماذا الهجر يا سهل
أصاب الدهر أفئدة	وآمالا بها تسلو
وجف الدمع من مقل	بأهداب لها تحلو
فقال الزوج في عجب	أحان الحزن والوجل
أتلک الريم في قلق	لماذا يدبر الكهل

أعيش وقد دنا الأجل	فقلت كيف يمكنني
بشيب لبعذك الطفل	فبعذك زاد أشجاني

ومن الشاعرات كذلك الدكتورة مريم البغدادي، وهي متخصصة في الأدب ولها دراسات ومقالات كثيرة فيه، كما لها أكثر من كتاب في الأدب بين مؤلف ومترجم، وصدر لها ديوان بعنوان "عواطف إنسانية" تقول في قصيدة لها بعنوان "رفقا بفؤادي" (Al-Baghdadi 1980: 15) :

يتلظى قلبي بغرامي	وكؤوسي فرغت من مائي
أرفيقي رفقا بفؤادي	هدمت سروري وهنائي
ناديت بقلبي وعيوني	أترك ستمسح أصدائي
تتعثر خطواتي حيرى	يمعني خوفي وحيائي

وشاعرة سعودية أخرى هي غادة الصحراء، نجد في شعرها كثيرا من خصائص الشعر المهموس على الرغم من ظهور روح الصحراء والعرار والنخيل، إلا أنها تتميز بعدوية الألفاظ والقوافي واستخدام مجزوءات البحور (Abbas & Abdullah 1989: 339) وتقول في أبياتها (Al-Labun 2009 : 19) :

أنا يا مذل دموعي	أكاد أشا ما تشاء
سوى أنهن كبار	دموعي كما الكبرياء

من الشخصيات النسائية الأخرى التي لمعت في سماء السعودية منهن: سلطنة السديري، إنصاف بخاري، هيام حماد، منتهى قريش، نورة الخاطر، ثريا العريض، خديجة العمري، غيداء المنفى (هيا العريني)، لطيفة قاري، أشجان هندي، فاطمة القرني، بدیعة كشغري، آمال بيومي، فوزية أبو خالد، هدى الدغفق، لولو بقشان، سارة الخثلان، هيلدا اسماعيل، عزة شاكر، هدى الرفاعي. (Al-Samti 2009: 34):

النهضة وأثرها في شعر الشاعرة السعودية

يمكن أن نتلمس في نصوص الشاعرات أهم معطيات النهضة، ولا سيما فيما يتعلق بالقوالب الشكلية للشعر العمودي، وكذلك الحال بالنسبة لبنية النص، فقد تخلصن من أنواع المقدمات، وخوضهن إلى المضمون مباشرة. وفي تولد النص ظهرت مستويات من الوحدة التي زادت نصوصهن انسجاما وتماسكا، وفي اللغة ابتعدن تماما عن الغريب الحوشي، والتراكيب الغليظة، أما مضامينهن فقد طغى عليها النبر الوجداني، وظهرت عليها مسحة تأملية

أعمق مما كانت عليه مضامين الأوائل، كما وجد فيها الحس الوطني، والهم الاجتماعي، ومعالجة القضايا الإسلامية (Al-Labun 2009: 34).

فالشاعرات السعوديات وطنيات وافرة، ونصوص الانتماء الوطني لدى الشاعرات السعوديات تقتصر على الوطن بصفته دولة ذات حدود سياسية، وبصفته أيضا أقاليم ومدنا وقرى، وليس في نصوصهن ما يستقل بمفهوم الوطنية الإسلامية الشاملة، أو القومية الأقل شمولاً. وكثير من الشاعرات اللاتي شاركن في أحاديث الانتماء، فممنهن من عاشت غربة حقيقية خارج الوطن، فتقول الشاعرة ثريا العريض معبرة عن شرف انتمائها لوطنها (Al-Labun 2009: 46).

كل وجودي أنت
بكل جفافك... كل الغبار
فيك العيون التي سكنتني تظل
والوجوه التي سكبت بملامح وجهي
انعكاسات أشجانها.. لم تزل...
لك يا وطني لهفة الحب
حين بأعماقنا يتمادى اشتياق النهار
وتطفح أغنية من بقايا زمان عتيق
روعة.. حلماً...
لك أغنية الحزن...
أغنية السعد...
أغنية الأمل المتولد تحت الجفون
كل الذي كان منا
وما لم يكن منك
أو سيكون
نغفره ونمسح عنك التعب

فالوطن بالنسبة للشاعرة يحمل لها معنى الوجود، فما دامت تتنفس وطنا فهي تتنفس وجودا، ولا يقلل من دلالة الوجود جفاف وطنها وغباره، فهي تتنفسه رغم كل ذلك، ورغم الوجوه التي ألفت على وجودها ظلال من الوجوم، فإنها تعشقه لذات العشق، لتهديه أغنيتي السعد والحزن معا، وأغنية الأمل كذلك، لتجعلها على استعداد لأن تغفر كل ما بدر منه لأنه احتواها بظلاله ودفئه.

وهناك من الشاعرات السعوديات اللاتي نادين إلى الوحدة الإسلامية، ولا سيما ونحن في زمن تشتت فيه أفراد الشعوب العربية، فتقول الشاعرة سلطنة السديري في أحد نصوصها (Amin 1994: 81):

أعداؤنا حولنا شر وأطماع	يا إخوة العرب إنا أمة بُليت
في القلب هم وأفكار وأوجاع	يا إخوة العرب آه من تشتتكم
كما خلفت بيننا موتى ومن جاعوا	لا تشعلوها بنيران تدمرنا

فالشاعرة تحث على نبذ الخلافات بين الأمة العربية والمسلمة، وتدعو إلى ضرورة التكامل بينها لتحقيق القوة والتأزر في المجالات النافعة. ولكن ما لبثت هذه الابداعات النسائية في التراجع خلال الحقبة الأخيرة من الزمان، فلم يكن منجز شعر المرأة السعودية يشكل حتى عام 1990م حضوراً نوعياً مهماً من الناحية الفنية، فسلطانة السديري انسحبت من كتابة الشعر العربي الفصيح إلى عالم الشعر النبطي والاهتمام بالجمعيات الخيرية النسائية، وبقي شعر فوزية أبو خالد في شبه عزلة، وصممت رقية ناظر وثريا قابل لانتهاج المرحلة الغنائية، ولم تواصل عزة فؤاد شاكر الكتابة لغلبة الخواطر على شعرها واهتمامها بنواح إعلامية أخرى، ولم يستطع شعر الدكتورة مريم البغدادي التواصل مع التجربة الشعرية الجديدة، ذلك أنه شعر ممنوح إلى العاطفة الأثوية الخالصة والأبنية الكلاسيكية، وعزفت خديجة العمري وغيداء المنفى عن النشر بصورة ملحوظة (Rashid 2010: 15).

بعد عام 1990م انتبعت الساحة الشعرية إلى مجموعة الإصدارات الشعرية عند الشاعرة الدكتورة ثريا العريض التي غلبت فاعليتها الوطنية والاجتماعية وعملها في ميدان التخطيط والاقتصاد حضورها الشعري، لكن إثر انحسار موجة معارضي الحداثة الشعرية التي كانت سبباً رئيسياً في عزلة أصوات شعرية مهمة، عاد أغلب الشعراء والشاعرات إلى الساحة الأدبية الإعلامية، وأسهم تعدد وسائل الاتصال التقني في انتشار الشعر عبر مواقع الانترنت المختلفة (Bakri 1994: 16).

إن القيم الجمالية عند شاعرات القصيدة الرومانسية التقليدية كانت ضئيلة، فأغلب القصائد كانت صدى لقصائد أخرى، ومحاكاة للملامح الرومانسية السائدة، وقد غلبت عليها الغنائية المفرطة، والمضامين التقليدية المكرورة، فيما إن أغلب شاعرات الرمزية المحددة مثل ثريا العريض، وخديجة العمري، وأشجان هندي، ولطيفة قاري، وفاطمة القرني قدمن نصوصاً متميزة صورت صوت المرأة الجديدة في رحلة بحثها عن كينونتها الاجتماعية الخاصة والانسانية العامة، وتميزت خديجة العمري بالتشكيل الفني في قصيدتها، ووظفت أشجان هندي ثقافتها التراثية في قصائدها الموزونة، وفاطمة القرني لها مقدرة متميزة في الشعر العمودي بشروطه الجديدة المعاصرة، وتحتوي نصوص هدى الدغفق ولولو بقشان على بعض ملامح الشعرية اللازمة لقصيدة النثر (Al-Labun 2009: 20).

وبشكل عام فقد استطاعت الشاعرة السعودية أن تلائم بين مكتسبات مجتمعاتها المحافظ ومتطلبات طبيعتها الاجتماعية بشكل تدريجي، ما لبث أن أصبح لدى بعضهن ما يمكن أن يعد نوعاً من الخروج عن منظومة المجتمع، وإذا تلمسنا وقع جميع هذه الأبيات التي صيغت بأنامل النساء الشاعرات، فسوف نجد بأن لها سمات الأدب النسائي، ذلك لأن أسلوبهن تنحو اتجاهها واقعياً، موضوعاً وأسلوباً، وتقنية.

References

- Abbas Bayyumi Ajlan & `Abdullah Surur. 1989. *Dirasat fi al-Adab al-Sa`udi*. Al-Iskandariyyah: Dar al-Ma`rifah al-Jam`iyyah.
- Al-Baghdadi, Maryam. 1980. *Awatif Insaniah*. Jeddah: Al-Kitab al-`Arabi al-Sa`udi Tuhamah.
- Al-Labun, Fawaz bin Abdul Aziz. 2009. *Syi`r al-Mar`ah al-Sa`udiyyah al-Mu`asarah Dirasat fi al-Ruyah wa al-Buniah*. Riyadh: Imam Muhammad Bin Saud University.
- Al-Samti, Abdullah. 2009. *Qasidah al-Mar`ah fi al-Sa`udiyyah baina al-Manhajiyyah al-Jamaliyyah wa Intiba`yyat al-Naqid*.
- Al-Sasi, Omar Attayeb. 1986. *Al-Mujaz fi Tarikh al-Adab al-`Arabi al-Sa`udi*. Arab Saudi: Matabi Sahar.
- Bakri Shaikh Amin. 1994. *Al-Harakah al-Adabiyyah fi al-Mamlakah al-`Arabiyyah al-Sa`udiyyah*. Beirut: Dar al-`Ilm li al-Malayin.
- Buthaynah Sya`ban. 1999. *Miah `Am min al-Riwayah al-Nisa`iyyah al-`Arabiyyah*. Beirut: Dar al-Adab.
- Fatimah Amin Syakir. 1981. *Nabt al-Ardh*. Jeddah: Al-Kitab al-`Arabi al-Saudi.
- Hasan Adham Jarrar. 2001. *Sya`irat Mu`asirat*. Amman: Muassasat al-Zaitunah.
- Husain Abdul Hamid Rashwan. 1989. *`Ilm Ijtima` al-Mar`ah*. Egypt: Al-Maktab al-Jam`ia al-Hadith.
- Lusi Ya`kub. 2001. *Lughat al-Adab wa al-Syi`r fi Kitabat al-Marmah al-`Arabiyyah*. Egypt: Maktabat al-Dar al-`Arabiyyah li al-Kitab.
- Muhammad Assayid Kutub, Abdul Mu`ti Saleh & Esa Mursi Salim. 2000. *Fi Adab al-Mar`ah*. Egypt: Al-Syarikah al-Masriyyah.
- Rashid Esa. 2010. *Qasidah al-Mar`ah fi al-Mamlakah al-`Arabiyyah al-Sa`udiyyah*. Riyadh: Al-Nadi al-Adabi.
- Muhammad Hasan Awwad. 1985. *Nahwa Kayan Jadid*. Al-Nadwah Press. Monday, 1Jumad Al-Awwal. Year 27No7887. p. 16.
- Zeidan, J. T. 1995. *Arab Woman Novelists, The Formative Years and Beyond*. New York: State University of New York.